التَّارِيخُ: 02.08.2024

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴿٥﴾

وَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

وَمَنْ أَعَانَ عَلَى خُصُومَةٍ بِظُلْمٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ .

رَسَائِلُ مِنْ سُورَةِ الْمَسَدِ

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ الْكِرَامُ!

إِنَّ مِنَ السُّوَرِ الَّتِى وَرَدَتْ فِى كِتَابِنَا الْعَظِيمِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ سُورَةُ الْمَسَدِ. دَعَوْنَا فِى خُطْبَةِ هَذَا الْأُسْبُوعِ نَتَذَكَّرُ مَرَّةً أُخْرَى الْحَقَائِقَ الَّتِى عَلَّمَتْنَا إِيَّاهَا سُورَةُ الْمَسَدِ.

يَقُولُ رَبُّنَا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِى هَذِهِ السُّورَةِ مَا يَلِى:" **تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ * مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ * سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ * وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ * فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ**"[1].

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الْأَعِزَّاءُ!

كَانَ أَبُو لَهَبٍ عَمُّ نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ كَانَ مِمَّنْ أَذَاقَ ابْنَ أَخِيهِ أَشَدَّ أَنْوَاعِ الْبَلَاءِ وَالطُّغْيَانِ وَالظُّلْمِ. وَكَانَ مِنْ أَشَدِّ أَعْدَاءِ الإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ. وَقَدْ وَرَدَ فِى سُورَةِ الْمَسَدِ ذِكْرُ الْعَاقِبَةِ الْوَخِيمَةِ لِأَبِى لَهَبٍ وَأَعْوَانِهِ وَمَنْ سَارَ عَلَى نَهْجِهِ.

نَتَعَلَّمُ مِنْ هَذِهِ السُّورَةِ أَنَّ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيُجَاهِدُونَ الْمُؤْمِنِينَ بِلَا هَوَادَةٍ سَيُعَانُونَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ. وَأُولَئِكَ الَّذِينَ يَسْتَخْدِمُونَ أَمْوَالَهُمْ وَقُوَّتَهُمْ وَوَسَائِلَهُمْ فِى الْبَغْيِ وَالْفَسَادِ فِى الْأَرْضِ سَيَبُؤُونَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ. وَنِهَايَةً حَزِينَةً تَنْتَظِرُ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَقِفُونَ ضِدَّ الْحَقِّ وَالْحَقِيقَةِ وَيَخْدِمُونَ الْبَاطِلَ وَالَّذِينَ يَأْسِرُهُمُ الْغُرُورُ وَيَحْتَقِرُونَ النَّاسَ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ الْأَفَاضِلُ!

تُؤَكِّدُ سُورَةُ الْمَسَدِ عَلَى أَنَّ الَّذِينَ يَنْصُرُونَ الظَّالِمَ كَأَبِى لَهَبٍ وَغَيْرِهِ سَيَلْقَوْنَ نَفْسَ الْمَصِيرِ. لِأَنَّ نُصْرَةَ الظَّالِمِ ظُلْمٌ أَيْضًا. وَالتَّسَبُّبُ فِى نَشْرِ الظُّلْمِ ظُلْمٌ أَيْضًا. يَقُولُ نَبِيُّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "**وَمَنْ أَعَانَ عَلَى خُصُومَةٍ بِظُلْمٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ**"[2]. لِذَلِكَ، أَيْنَمَا وُجِدَ الظُّلْمُ يَجِبُ أَنْ نَقِفَ ضِدَّهُ بِحَزْمٍ بِأَيْدِينَا وَأَلْسِنَتِنَا وَقُلُوبِنَا. فِى عَالَمٍ يُوجَدُ فِيهِ الظُّلْمُ لَنْ يَكُونَ أَحَدٌ فِى مَأْمَنٍ مِنْهُ. وَتَحْذِيرُ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) فِى هَذَا الصَّدَدِ وَاضِحٌ جِدًّا: "**أَنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الظَّالِمَ فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ أَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللَّهُ بِعِقَابٍ مِنْ عِنْدِهِ**"[3] .

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الْأَفَاضِلُ!

وَلِلْأَسَفِ الشَّدِيدِ، يُوَاصِلُ الْكَثِيرُ مِثْلَ أَبُو لَهَبٍ وَحْشِيَّتَهُم الْيَوْمَ، وَمِثْلَ أَبِى جَهْلٍ يَجُوبُ الْقَارَّاتِ. فَالْقَتَلَةُ وَالْغُزَاةُ يَرْتَكِبُونَ مَجَازِرَ وَحْشِيَّةً فِى الْأَرَاضِى الْإِسْلَامِيَّةِ وَخَاصَّةً فِى غَزَّةَ دُونَ أَنْ يَكْتَرِثُوا لِلْأَطْفَالِ وَالنِّسَاءِ وَالشُّيُوخِ وَالْإِبْرِيَاءِ. فَالْمُجْرِمُونَ يَرْتَكِبُونَ إِبَادَةً جَمَاعِيَّةً لَمْ يَسْبِقْ لَهَا مَثِيلٌ فِى التَّارِيخِ. وَمَنْ يُؤَيِّدُهُمْ يُصَفِّقُونَ لِلظُّلْمِ بِأَيْدِيهِمْ الْمُلَطَّخَةِ بِالدِّمَاءِ وَيُشْجِعُونَ الظَّالِمِينَ. أَيُّهَا الظَّالِمُونَ! كُفُّوا عَنْ هَذِهِ الْوَقَاحَةِ. وَلَا تَثِقُوا بِمَرَاكِزِ الْقُوَى الَّتِى تَعْتَمِدُ عَلَيْهَا. وَانْظُرُوا إِلَى التَّأْرِيخِ وَخُذُوا عِبْرَةً، وَتَذَكَّرُوا مَا حَدَثَ لَكُمْ فِى الْمَاضِى بِسَبَبِ تَجَاوُزَاتِكُمْ. إِنَّ الْقُوَّةَ وَالْفُرَصَ الَّتِى تَمْلِكُونَهَا الْيَوْمَ لَنْ تُنْقِذَكُمْ أَبَدًا. لَنْ تَسْتَطِيعَ أَىُّ قُوَّةٍ أَنْ تَمْنَعَ دِينَنَا الْعَظِيمِ الْإِسْلَامِ مِنْ أَنْ يَسْتَقِرَّ فِى الْقُلُوبِ وَيَنْتَشِرَ فِى أَرْجَاءِ الْأَرْضِ. وَيُعَلِّمُنَا رَبُّنَا بِهَذِهِ الْحَقِيقَةِ كَمَا يَلِى:" **يُرِيدُونَ لِيُطْفِؤُا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ**"[4].

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ الْأَعِزَّاءُ!

إِنَّ الطُّغْيَانَ وَالظُّلْمَ لَا يَدُومَانِ. فَمَهْمَا ظَنَّ الظَّالِمُونَ أَنَّهُمْ أَقْوِيَاءَ سَيَخِيبُ ظَنُّهُمْ بِالتَّأْكِيدِ. فَالْحَقُّ سَيَنْتَصِرُ وَالْبَاطِلُ سَيَخْتَفِي.وَ وَاجِبُنَا نَحْنُ هُوَ أَلَّا نَرْضَى أَبَدًا بِالظُّلْمِ وَأَلَّا نَسْتَسْلِمَ لِلشَّرِّ وَأَنْ نَسْتَمِرَّ فِى الْوُقُوفِ ضِدَّ الظَّالِمِينَ وَإِلَى جَانِبِ الْمَظْلُومِينَ دُونَ أَنْ نَفْقِدَ أَمَلَنَا وَشَجَاعَتَنَا. وَأَنْ نَبْنِىَ حَضَارَةً تَضْمَنُ الْعَدْلَ وَالْخَيْرَ فِى الْعَالَمِ، وَأَنْ نَتَكَاتَفَ يَدًا بِيَدٍ وَقَلْبًا بِقَلْبٍ، وَأَنْ نُؤَدِّىَ مَسْؤُولِيَّاتِنَا عَلَى أَكْمَلِ وَجْهٍ. وَلَا نَنْسَى أَنَّ سَبَبَ اسْتِمْرَارِ الظَّالِمِينَ فِى قَمْعِهِمُ الْيَوْمَ هُوَ فَوْضَى الْمُسْلِمِينَ. وَإِنَّ نِهَايَةَ الظُّلْمِ مَرْهُونَةٌ بِتَكَاتُفِ الْمُسْلِمِينَ وَتَضَامُنِهِمْ.

وَاخْتِمُ خُطْبَتِى هَذِهِ بِآيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّنَا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:" **قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ**"[5].

---

[1] سُورَةُ الْمَسَدِ،111/1-5.

[2] أَبُو دَاوُدَ، كِتَابُ الْأَقْضِيَةِ،14.

[3] التِّرْمِذِىُّ، تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ،5.

[4] سُورَةُ الصَّفِّ،61/8.

[5] سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ،3/12.